مقياس تقنيات استخدام الوثائق

السنة الثانية ماستر علم الاجتماع الاتصال

المحاضرة الأولى

مقدمة: منذ بداية التاريخ الانساني و لان الالنسان اجتماعي بطبعه فقد كان من الضروري للانسان خلق آلية للتواصل (لغة) فيما بين البشر حتى يتمكن من التنظيم والتنسيق وتبادل الافكار من اجل العيش المشترك، ولكن وكما ان الانسان كان يهدف للحوار مع اخيه الانسان في حوار مباشر كان كذلك يهدف للحوار وللتواصل مع الاجيال القادمة وذلك بنقل القيم والمعتقدات والمعارف التي تظمن استمرار الكيان وفي نفس الوقت حدوث تواصل غير مباشر بين الاوائل واللاحقون مهما بعدوا، ومن هنا لعبت الوثيقة دورا فعالا في حياة الشعوب في نفس الجيل وبين الاجيال المتعاقبة،" والوثيقة مع تعدد مصادرها، واختلاف أنواعها، وتباين عصورها، وتفاوت لغاتها – عامل فعال في خدمة الحضارة الانسانية لأنها ضمير الشعوب وعنوان بارز في تاريخها ححتى إذ قدر لهذه الشعوب ان تحفظ هذه الوثائق بأنواعها غدت الذاكرة واعية، كما اضحت سجلا حافلا لتقدمها وتطورها فإذا هي رافد غني، ورسالة تواصل بين الأجيال المختلفة فضلا عن أنها عبرة للماضي، ومدخل لاستقرائه من أجل بناء المستقبل.

وربما نوجز دور أهمية الوثائق ونتحقق من أثرها في ما أكده العالمان الكسندر وبيرك(إنه لو تحطمت كل الآلات الحديثة ومعامل الذرة وبقيت دور الوثائق والمكتبات لتمكن رجال العصر

من إعادة بناء الحضارة الآلية ةالدرية، ولكن لو ضاعت الوثائق والكتب فإن عصر القوى الآلية ةالذرية يصبحان شيئا من الماضي)"[1] .

أولًا: تعريف الوثيقة التاريخية: المعنى والدلالة

بالعودة إلى الفعل (وثق) فالثقة مصدر قولك: وثق به يثق وثاقًا وثقة أي ائتمنه، ووثّقت فلانًا إذا قلت: إنه ثقة، وأرض وثيقة: كثيرة العشب موثوق بها، والوثاقة مصدر الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم يوثق وثاقة، والوثاق اسم الإيثاق، وهو ما يشدّ به الأسير، ويجمع على الوثق بمنزلة الرباط والربط، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾.

ووثق الشيء (بالضم) وثاقة فهو وثيق: أي صار وثيقًا. والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثاق. والوثيق الشيء المحكم. ويقال: أخذ الوثيقة في أمره أي بالثقة. وتوثّق في أمره: مثله، ووثقت الشيء توثيقًا فهو موثق. والوثيقة: الإحكام في الأمر والجمع وثيق. والوثيق هو العهد الوثيق، والموثق والميثاق: العهد، والجمع: المواثيق. والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ والميثاق: العهد مفعال من الوثاق. واستوثقت منه، أي أخذت منه الوثيقة.

وإذا نحن انتقلنا إلى اللغة الأجنبية، فالوثيقة هي كلمة ذات اشتقاق لاتيني (Documentum)وتعني يعلم، ولها معنى قانوني أي الحجة التي تقنع القاضي عند إصداره حكمه، وبالتالي فإن كلمة الوثيقة تعتبر أحسن مقابل للكلمة اللاتينية إذا استعملناها

[1]-عبد الله انيس طباع، علم الاعلام الوثائق والمحفوظات، الشركة العلمية للكتاب، طرابلس، لبنان، سنة 1986، ص 55-56.

بمعنى الحجة المكتوبة فقط، لذلك فإن بعض المؤرخين أمثال عبد الله العروي يرى أن كلمة وثيقة ضيّقة ويقترح لفظة شاهدة (جمع شواهد) لكل أنواع مخلّفات الماضي مهما كانت أشكالها وموادّها ونوعيتها، أي كل ما يمكن أن يكشف إلينا شيئًا من ماضي الإنسان.

وبحسب معجم (Le Robert) فإن كلمة وثيقة (Document) تعني كل ما يمكن أن يستخدم كدليل أو كمعلومات.(Renseignement)

لهذه الكلمة أي الوثيقة (Document) عدّة معانٍ تتّسع وتضيق، فهي في معناها الحرفي الضيّق تعني: كافّة أوراق الدولة الرسمية التي تضم القوانين والمعاهدات والمعاملات، أما المعنى الأوسع لهذه الكلمة فيشمل كافة الأوراق المكتوبة والمصوّرات والبقايا الأركيولوجية والروايات الشفوية، وكافة ما يمكن للمؤرّخ أن يستعين به من مادة في كتابة التاريخ.

الوثيقة التاريخية إذن هي كل أثر مادي منقول وغير منقول، نتاج طبيعي أو نتاج إنساني، صامت مثل: (آثار إنسان ما قبل التاريخ مثل الأدوات الحجرية والعظمية، الخزف البسيط، التماثيل...) أو ناطق مثل: (النقائش بمختلف أنواعها ومختلف موادها، النقود، الكتب...)، قد دخل في صيرورة التاريخ واحتسب في الزمن.

الوثيقة إذن لا تعني النص المخطوط أو الخبر المروي فقط، بل إن مضمونها أوسع من ذلك، فهي تشمل: القبور والأبنية والأسلحة والأدوات والملابس والسجلات الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات والوثائق السياسية، وكلها آثار مادية كما تشمل الوثيقة الروايات

والقصص والأساطير والأقوال والحكم سواء أكانت مروية أم مكتوبة، فضلًا عن الوثائق الكتابية أو اليدوية مثل التصاوير والمشاهد التاريخية والكتابات والنقوش."[2] "و في الحقيقة يمكن التمييز بين ثلاث لحظات أساس تطور مفهوم الوثيقة و كذا وضعها ضمن إطار البحث التاريخي:

-مرحلة ماقبل التاريخ الوضعاني

- ما بعد الوضعانية ،أو الوثيقة التاريخية بين الوضعانية والتارخانية

-الوثيقة التاريخية :من التاريخ الجديد الى الدراسات الابستمولوجية

1-**ما قبل التاريخ الوضعاني:** لم يهتم دارسوا التاريخ الأوائل، بإثبات مصادر أخبارهم، فإلى غاية العصر الوسيط لم نجد عند اخباريي ذلك العصر أي اهتمام بتوثيق مصادر اخبارهم، وكل ما كان موجود هو عند الرهبان ودور الكنيسة التي كانت تحفظ المخطوطات المتعلقة بالجيل السابق، على أن القرن 16 شهد موجة لتأسيس مظان الوثائق dépots d'archives، وفي هذه المرة من قبل مختلف المؤسسات أو الدولة، وبذلك تضاعفت الأرشيفات الوطمية المكونة من موارد وثائقية وصارت شيئا فشيئا في متناول الباحثين خاصة بعد الثوره الفرنسية،على أن هذه الثقافة التوثيقية-إن جاز التعبير- بقيت مستقلة عن الانتاج التاريخي إلى أن كان القرن 19.

[2]-عبد الرحيم حسناوي، حفريات في مفهوم الوثيقة التاريخية:مقاربات وتصورات، مجلة الكلمة، شركة الكلمة للاعلام والنشر المحدود، قبرص العدد 105، خريف 2020.

2-**الوضعانية:** حيث اعتبر علماء هذا العصر الوثيقة بمثابة المادة في بناء المعرفة العلمية من قبل العالم الطبيعي وتفسيره، وهم في كل ذلك كانوا يحاولون الابتعاد عن التأويلات الفلسفة والتنظيرات العامة التي التصقت بالكتابة التاريخية لفرة من الزمن. وقد فسح التصور الوضعاني لمفهوم الوثيقة ودورها في بناء المعرفة التاريخية المجال لازدهار النقد التاريخي وتطوره في أفق إنتاج معرفة تاريخية تتسم بالموضوعية بشكل لا يقل موضوعية عن المعرفة العلمية.

3-**ما بعد الوضعانية:** واجه التصور الوضعاني للوثيقة انتقادات من قبل التاريخانيين، ذلك أن مفهوم الوضعانيين للوثيقة له علاقة وطيطة بالنصوص الرسمية المحفوظة والبقايا الاركولوجية، وهو مفهوم ذو طابع سياسي تأثر بالسياق التاريخي للقرن 19م ومعلوم أن هذا القرن تبلورت فيه القوميات والصراعات السياسية، فضلا عن كونه فترة وافقت تكوين المؤرخين، لهذا السبب انتقدت المدرسة الوضعانية في حقل المعرفة التاريخية يكونها مدرسة الحروب والعقود"[3].

[3]-محمد صهود،مفهوم الوثيقة التاريخية بين المعرفة العالم والمعرفة المدرسية، مجلة التدريس، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 08، السلسلة الجديدة، ديسمبر 2016، ص 91-92.

المحاضرة الثانية: علم الديبلوماتيك

لفظ "الدبلوماتي:

الدبلوماتيك نسبة الى لفظة دبلوما الاغريقية الاصل ومعناها الحرفي الصحيفة التي تطوى مرتين ، وكان الرومان يستعملونها اول الامر للدلالة على الجواز او الرخصة بالسفر لمصاحبة البريد العام اما في اللغة اللاتينية فلفظة دبلو بمعنى ضعف او مضاعف أي مرتين ودبلوما في هذه اللغة بمعنى الرسالة المطوية مرتين او تعني تلك الرسالة الرسمية الصادرة عن جهة حكومية وللدبلوما معنى آخر هو الورقة التأريخية ومن المعاني وثيقة الشرف او الامتياز وبعد ذلك جرى استعمالها بمعنى الهبة او الامتيازات الامبراطورية.

تطور علم الدبلوماتيك:

إن الجوانب العملية لعلم الوثائق كانت الأسبق في الظهور من جوانبه النظرية، وكلا الجانبين النظري والتطبيقي يكونان الهيكل العلمي الحقيقي لهذا العلم، وتمثل المكتبات ودور الوثائق والارشيفات ومراكز المعلومات المتنوعة الميادين التطبيقية لعلم الوثائق. وقد كانت هذه المؤسسات . خاصة المكتبات . تقدم خدماتها الثقافية إلى المستفيدين منذ فجر التاريخ، وهي مستمرة في عطائها، غير أنها بعد التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده العالم، وتفجر المعلومات وازدياد الحاجة إليها وتطور هذه الحاجة وتنوعها، قد أصبحت عاجزة عن القيام بواجباتها تجاه المجتمع كما ينبغي.

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر ظهرت حركة التوثيق (Documentation) التي كانت تهدف إلى تقديم تحليل مكثف لمحتويات أوعية المعلومات، وأكثر عمقاً مما كانت تقدمه الإجراءات المكتبية، وبعد استخدام الحواسيب في العمليات المكتبية أظهرت عمليات استرجاع المعلومات(71) أن هذه المحاولات المعلوماتية المتعددة هي مراحل تطورية لعلم المعلومات في جوانبه التطبيقية، إلا أنها ما كانت لتستمر وتتطور اعتماداً على كونها خبرات مهنية تستند إلى طريقة المحاولة والخطأ، بل هي بأمس الحاجة إلى مبادئ وقوانين علمية أساسية تستند إليها في تطبيقاتها الميدانية، وتعتمدها سنداً للتفسير والتخطيط والتطوير، ولقد وجدت مفاهيم علم الوثائق ونظرياته لبناء هذه الأسس، وتطوير لمبادئ مهنة المكتبات وأهداف التوثيق، وتكاملاً معها واستحواذاً عليها في علم شامل تستظل بمظلته هذه التخصصات والخبرات المهنية بصورة موحدة وهكذا كان وتطور علم الوثائق

واتخذ تسميات متعددة منها:

التوثيق(Documentation)

علم المعلومات والتوثيق(Information Science and documention)

علم الوثائق (الدبلوماتيك(diplomatics)

علم الدراسة النقدية لمصادر التاريخ الرسمية، مثل: المواثيق والقوانين والمعاهدات والعقود والسجلات القانونية، والوثائق الأخرى المشابهة. كما تشتمل أيضا على دراسة نشأتها

وتكوينها وكذلك تقييمها وتمييز الصحيح من المزور. وتعتبر دراسة الوثائق التاريخية أساس علم الأرشيف.

ظهرت دراسة الوثائق التاريخية أولا في فرنسا في القرن السابع عشر في شكل محاولات لإثبات صحة الوثائق الأرشيفية. ثم صقلت في المعاهد الأوروبية وتطورت إلى دراسة قانونية وتاريخية ولغوية للوثائق. وفي القرن العشرين طبقت على وثائق العصور الوسطى وبداية العصر الحديث وكان هدفها تقييم مصداقية تلك الوثائق كمصادر للأبحاث. وأول عمل كبير في هذا المجال قام به Jean Mabillon (1632–1707) وهي دراسة نشرت في ستة أجزاء.

والدبلوماتيقا تتحقق من الكيان المنشئ provenance للوثائق وخصوصا الوثائق الخطية، وتهتم بتطورها وتطبيق المفاهيم الدبلوماتيقية عليها. فهي تفحص المفاهيم الدبلوماتيقية من حيث التنظيم والتأثير على مضمون الوثائق والنظم الأرشيفية الحديثة. وهي تفحص الأشكال المادية والفكرية للوثائق، وتوضح المناهج التقليدية للدراسة النقدية للوثائق التاريخية وتضيف إليها أفكارا تتعلق بالاستخدام الأرشيفي للوثائق. وهي تحاول الوصول إلى صحة أو عدم صحة المنشئ ومصداقية أو موثوقية authenticity الوثيقة عن طريق دراسة:

المادة التي كتبت عليها وكيفية طيها

وفن الكتابة والأبجدية والخطوط التي استخدمت حيث يستخدم علم الخطاطة، أي علم الكتابات القديمةpaleography

واللغة والأسلوب اللغوي الذي استخم في الكتابة بما فيها المفردات واستخدامها والنسق الأدبي فيها.

كما تهتم بالإضافة إلى ذلك بالتواريخ والتوقيعات والشهود والأختام ودراسة الوثائق التاريخية مهم للدراسات التاريخية من أجل التحقق من حدوث وقائع تاريخية معينة من عدمه[4].

[4]- بالتصرف عن : محمد كريم ابراهيم الشمري، نشأة علم الوثائق العربية، القادسية للعلوم الانسانية، المجلد 12، الجزء3، سنة 2009، 15-26.-